اللغة العربية .. والبحوث الاقتصادية

الدكتور ابراهيم دسوقي أباظة
« الرّبـاط »

لعل من اخطر المشاكل التي تعترض الباحث العربي فى ميادين العلوم الاقتصادية هي مشكلة القدرة على الاستيعاب والتعبير بالالفاظ والمصطلحات العربية.

ذلك ان علم الاقتصاد يعتبر من أسرع علوم العصر تطورا واكثرها استخداما لمصطلحات فنية متزايدة نقلت فى معظمها عن العلوم الأخرى كعلم الأحياء ... وعلم الكهرباء ... وعلم الميكانيك .

وهذا التطور السريع الذي ينفرد به علم الاقتصاد دون غيره من العلوم الانسانية يعود الى التقدم التقني الكبير الذي بدا فى مطلع القرن العشرين وما اقترن به من تحولات اجتماعية وسياسية عميقة . فقد ادت هذه العوامل مجتمعة الى أن تحتل المشكلة الاقتصادية المكان الأول فى سلم المشاكل التي تعالجها المجتمعات البشرية وتعقدت الظواهر الاقتصادية وتشعبت فى مجالات الانتاج والنقود والبنوك ... الخ . بينما برزت قضايا التخلف والتنمية لتأخذ مكان الصدارة من قضايا العصر .

وقد ساير الفقه الاقتصادي الغربي هذا التطور فنشطت حركة الابتكار والتخصيص والاستعارة بالنسبة للمصطلحات الفنية . كما تم توحيد العمل بها بين ابناء اللغة الواحدة بل طغى اتجاه التوحيد على الناطقين بلغات مختلفة كما هو الشأن بالنسبة للاقتصاديين الفرنسيين واقرانهم الانجلوسكسون .

اما فى بلاد الضاد فلم يحظ هذا التطور بعناية تذكر ، اذ ظل الاقتصاديون العرب على حالهم قانعين بالاجتهادات الشخصية .. او مكتفين بترديد المصطلحات الاجنبية كما وردت فى لغاتها الأصلية . كما ظلت المحافل اللغوية بعيدة عن التصدي لهذه القضية الحيوية .

وقد ترتب على هذا الوضع صعاب عديدة اعترضت طريق الباحث العربي فى ميادين الاقتصاد ولعل أهم هذه الصعاب تتلخص فيما يلي :

1 ـ تعدد المصطلحات العربية التي تستعمل للدلالة على المعنى الواحد . ومرد ذلك الى غيبة المصطلحات العربية الموحدة مما يستتبع تعدد الاجتهادات الشخصية فى البحث عن المصطلحات التي تؤدي المعنى المطلوب .

من ذلك مثلا اصطلاح Structure الذي يرادفه البعض فى العربية باصطلاح « بنية » ويرادفه آخرون باصطلاح « هيكل » . وكذلك اصطلاح L'utilité marginale الذي يرادفه البعض باصطلاح « المنفعة الحدية » يرادفه آخرون باصطلاح « المنفعة الهامشية » .

ولا يخفى ما يؤدي اليه هذا الوضع من اضطراب وبلبلة تعود على البحث الاقتصادي بأفدح الأضرار .

2 ـ عدم دقة بعض المصطلحات العربية التي يكثر تداولها من ذلك مثلا اصطلاح L'amortissement الذي يستخدم في علم الاقتصاد للدلالة على الهبوط التدريجي في قيمة راس المال خلال مدة معينة بسبب الاستعمال اذ يرادف البعض هذا المصطلح بكلمة « الاستهلاكات » وفي هذه المرادفة خطر كبير اذ يمكن ان تختلط باصطلاح La consommation الذي يقابله بالعربية اصطلاح « الاستهلاك » .

وقد دفعت هذه الصعوبة نفرا من الاقتصاديين العرب الى اعمال الاجتهاد فاستعملوا اصطلاح « الاندثار » للدلالة على هذه الظاهرة ، بينما آثر آخرون استعمال عبارة « استهلاكات راس المال » .

وهكذا يتعرض الباحث العربي الى السقوط بالخطأ في الفهم بسبب الخلط بين المصطلحات العربية المتشابهة او بسبب عدم وضوحها .

3 ـ المصطلحات الاقتصادية التي لا يقابلها مرادف بالعربية قد يضطر الخبراء الاقتصاديون الى ذكرها بلغتها الاصلية او كتابتها بالحروف العربية من ذلك المصطلحان الآتيان : Ex-ante و Ex-poste اللذان جرى العمل على استخدامهما في الدلالة على « السابق » و « اللاحق » في مؤلفات الاقتصاديين السويديين وقد درج الاقتصاديون العرب على كتابتهما باللغة اللاتينية .

وكذلك مصطلح Dynamisme ومشتقاته فقد عمد عدد من الاقتصاديين الى نقله بأكمله وكتابته بالحروف العربية .

وطبيعي ان في هذه الاتجاهات ما يضعف القدرة على التعبير الاقتصادي الدقيق .

4 ـ استعمال مصطلح عربي واحد للدلالة على معان اقتصادية جد مختلفة . من ذلك مثلا اصطلاحا Régime و Système اللذان يرادفهما بالعربية دون ما تمييز اصطلاح « نظام » مع ان لكل منهما معنى مختلفا في الفقه الاقتصادي والاجتماعي ، فاصطلاح Système يستخدم للدلالة على « النظام » بمعناه النظري اي الذي ورد في النظرية بينما يستخدم اصطلاح Régime للدلالة على « النظام » بمعناه العملي اي المطبق فعلا في العمل .

ويؤدي عدم التمييز بين معنيين مختلفين على هذا النحو الى صعوبة الاستيعاب والتعبير بالاضافة الى تعريض الباحث الى السقوط في التعميمات البعيدة عن الدقة العلمية .

— x —

تلك بعض نماذج من القصور اللغوي الذي تعانيه العلوم الاقتصادية . ولعل المتفحص لواقعنا المتطلع الى مستقبلنا لا يخامره شك في اهمية المعارف الاقتصادية لبناء امتنا . واللغة اداة رئيسية في بسط هذه المعارف واستيعابها ، اذ عن طريقها تتحد المناهج وتتقارب المفاهيم .. وعن طريقها تكتمل الوحدة الثقافية والفكرية للأمة .

واذا كنا نحاول اليوم بعث نهضتنا الحضارية فيجب ان نضع في الحسبان ان النهضة الحضارية والنهضة الثقافية متلازمتان ، فلا يمكن تصور نهضة حضارية بغير نهضة لغوية تمهد لها وترسيها على دعائم ثابتة .